

«القومي» يزف البطل نضال العلي شهيداً؛

بخيار المقاومة نحرر الأرض ونقضي على الإرهاب

زَفَ الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى الأمة وعموم السوريين القوميين الاجتماعيين في الوطن وعبر الحدود، الرفيق البطل نضال العلي الذي ارتقى شهيدا أثناء تاديبته واجبه القومي بمواجهة قوى الإرهاب والتطرف في مدينة درعا.

بارتقاء البطل من مواليد 1975، متزوّج وله عشرة أبناء. وقد اختطف في صفوف الحزب منذ سنوات عدة

وانتمى في الأول من آذار 2015.

شارك الشهيد البطل في العديد من المعارك والمهام ضدّ المجموعات الإرهابية المتطرفة، لا سيما في جسر الشغور وصيدنايا وعلى محور دوما وعين ترمنا ومناطق أخرى.

تميّز بشجاعته وإقدامه، وكان مثلاً للقومي الاجتماعي المضحيّ ثودا عن شعبه وبلاده.

بارتقاء الشهيد البطل نضال العلي شهيداً في رحاب شهر الغداء والتضحية، وعشية يوم استشهاد باعث النهضة أنطون سعادة في الثامن من تموز، يؤكّد الحزب السوري القومي الاجتماعي أنه يشكل مدرسة نضالية تخرّج أبطالاً آمنوا بقيضيتهم فانخرطوا في مسيرة المقاومة والجهاد حتى بلوغ النصر أو الشهادة.

إنّ الحزب السوري القومي الاجتماعي إذ يفخر بأبطاله وشهادته الذين يدافعون عن شعبنا ويروون بدمائهم الزكية أرض بلادنا، فإنه يؤكّد الالتزام بخيار مقاومة الاحتلال والإرهاب والتطرف، لأنّ خيار المقاومة هو السبيل الوحيد لتحرير الأرض والقضاء على الإرهاب والتطرف بكل أشكاله ومسمياته.

إن دماء الشهداء وتضحياتهم تثمر نصراً مؤزراً...



ولنا حزب الشهادة والشهداء، فإننا مصممون على خوض معركة الدفاع عن شعبنا وبلادنا ضدّ الإرهاب، وواقفون من الانتصار في هذه المعركة المصرية.

الشهيد الرفيق نضال أحمد العلي، اختطف في مخيم الخيطة بالقرب منبصرمة بعد أن دخلها في آذار 2015

الغداء التّموزي في الأدب القومي قصّة «حدثني الكاهن الذي عرفّه» نموذجاً

■ **د. لؤي زيتوني**

المجتمع، وتأكيداً لمصادقية رسالته. من ناحية أخرى، نجد للأسلوب الذي أتبعه سعيد تقّي الذين نورا محوريًا في جعل القصّة على هذه الأهميّة. فالسرد يطلعنا على مستويين: المستوى الأوّل امتلك فيه الكاتب نفسه زمام الرّواية، فكان بذلك الرّائي الأوّل مع بداية النّصّ وعند اختتامه، وقد كان دوره أن يعرفنا على الرّائي الرئيسيّ وينقل لنا الحقائق التي عاشها، ولذلك فإنّ السرد داخليّ لجهل الرّاي بالحقائق التي يسعى إليها، ولعل هذا ما دفعه إلى استنطاق الكاهن.

أمّا المستوى الثّاني، فيرتبط بالرّاي الآخر الذي شكّل المصدر الأساسيّ لتطوّر الأحداث، وأعني الكاهن، وبالنسبة لنا مستشفه من عنوان القصة الذي ركّز على حديث هذا الرّاي بالذات. وكون المنظور السّرديّ متطلقاً من زاوية الرّؤية هذه فينبغي أنّ نشتم بمصادقية لدى المتلقّي، كما أنّه يشكلّ روايا علميا، وبالتالي فإنّه والحال هذه من المصادقية حول المؤامرة التي حيكت ضدّ سعادة، وعليه فإنّ عمليّة السرد خارجيّة نظراً لكون المعرفة التي يمتلكها الرّاي تفوق معرفة المتلقّي وحثّى الرّاي الأوّل.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الكاتب اعتمد تقنية الاسترجاع بوصفها الأسلوب المهيمن على عمليّة السرد، إذ إنّ الأحداث وتطوّرها ترد على لسان الكاهن الذي يسترجع ما جرى معه بعد استعادته لتعريف سعادة قبل إجراء عمليّة إعدامه. وبذلك يكون تيار الوعي متركزاً لتأدية الدور الرئيسيّ في القصّة، نظراً لكونه مكنّ القارئ من الإحاطة بتفاصيل ما حدث بوعها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى صوت قصصني ثالث يحدث من خلال الاسترجاع نفسه، وهو صوت سعادة من خلال المقطع الذي أورد على لسانه. ونلاحظ أنّ ما يغلب على لغته صيغة المبالغة التي تظهر في سياق توضيح موقف صاحبها تجاه الأحداث والمؤامرات التي تحال: «أنا بيهمّي كيف أموت، بل من أجل ماذا أموت. لا أعّد السنين التي عشتها، بل الأعمال التي نفذتها. هذه الليلة سيعدومني، أما أبناء عقيدتي فسيسنصرون ولكن قليلين منا يظفرون بشرف الموت من أجل عقيدة، وباللحظ ورود العجرات المتعاقبة وهي تعمل على إثبات عدم جدوى الفعل الذي تقوم به السّلطة، لأنّ حياض سعادة لا تنتهي بإعدام، وفي هذا يصبح قتلها عبثاً ثانويّاً عابراً أمام ما قام بإنجازه في الحياة، ورصديّاً قياساً على نفسه التي أبت الاستسلام.

يمكننا أيضاً أنّ نجد حضوراً فاعلاً للحور الذي استطاع أن ينقل الصّراع بين القوى الظلاميّة من جهة وبين الحضور السّعدائي من جهة أخرى، ومنه هذا الحوار: «فقال: إنّي كلمة أريد أن أدونها للتاريخ. فأخذ من أحد الضباط منذراً: «حذار أن تتجهّج على أحد، تلالا نمس كرامتك، فابتسم الزعيم من جديد وقال: أنت لا تقدر أن تمسّ كرامتي، ما أعطى لأحد أن يهين سواه، قد يهين المرء نفسه»، وأردف يكرّ: «لي كلمة أريد أن أدونها للتاريخ، وإن يسجلها التاريخ» وهو حوار قرّينا من الشخصية محور القصّة أكثر، وأبرز عمليّة الظلم المتعمّدة تجاهها.

في المحصّلة، نرى أنّ قصّة «حدثني الكاهن الذي عرفّه» عمل سرديّ شديد النّضج تميّز بإيقان اللغة الأدبية وعناصر التّشويق في إيراد الأحداث، وباستخدام التقنيات الحديثة في عمليّة تطوّر السّياق القصصيّ. وهذا ما جعلها تستطيع إيصال الهدف الذي أراده الكاتب ليبرز مؤامرة الثّامن من تموز التي أتت إلى استشهاد أنطون سعادة.

الجدير ذكره هنا أنّ هذه القصّة شكّلت نموذجاً لن الأعمال الأدبية المتأثّرة باستشهاد الرّقيم سعيا لإيقاف نهضته، إذ أنّ هذا الاستشهاد قد حمله العديد من الأدباء بوصفه فعل تضحية وانبعات، ومن حبه نشأ ما يُعرف بالقصيدة التّموزيّة وغيرها من التّناجات التي لما تزل وستبقى تولد من فعل الحياة بتّموز الغداء.

الببناء

أنطون سعادة... الواقع والاستشراف والإرادة والتفكير الاستراتيجي الواضح

ـ د. ادمون ملح

لا يمكن لنا أن نواجه ما تتعرّض له بلدانا من مشروع تدميرِي الغائبي ودأوته الإبراسخ الإيمان والإرادة الواعية المصمّمة، واعتماد البطلوة المؤمّنة دافعا عن الوجود القومي والشرف القومي والحق القومي... لا يمكن لنا أن نواجه هذا المشروع إلا بتخصيص مجتمعنا وتعزيز مناعته ببعث فضائله وقيمه العليا وبترقية الوعي القومي عند أبنائه وينشر الثقافة القومية الواضحة والجامعة... ثقافة حب الوطن والعنصبل له، ثقافة الاخاء القومي والمحبة القومية بين أبناء الشعب الواحد، ثقافة الوحدة الاجتماعية ضدّ كل الانقسامات، ثقافة الانصهار الاجتماعي الرافضة للانغلاق والتقوق والتعصب والانحزال ولا تكف عن سياسة القتل والتدمير وبمها المزالل والاعتداء على المقدسات ومصابرة الرّاضي وبناء المستوطنات.. وسورية اليوم تدفع الثمن حروبا عظيمة ترتكب فيها المجازر الظفيعية وتزْهق الأرواح وتدمّر البلاد وتعمّ الأوبائ وتكلّ ظواهر التخلف وتفككا مما كانت عليه في بدايات القرن الماضي، والسبب هو عدم التجاوب الكافي مع دعوات سعادته وتحذيراته.

رابعا:التفكيرالوابعي
سعادة كان صاحب نظرة واقعية مشدودة إلى المستقبل تعتبر أنّ كل جماعة تريد الارتقاء «لا بد لأفرادها من فهم الواقع الاجتماعي وظروفه وطبيعته والعلاقات الناتجة عنه». لذلك نظر سعادة في واقع مجتمعه دارسا ومعلّلا بموضوعية وعلمية تركيبته ومشكلاته وعلاقاته الداخلية والخارجية وحالاته الصحية والمرضية ومستنبطا أسباب الويل والمآسي والأمراض وكلّ ظواهر التخلف والمتربط والضعف والتبعية والانتحاط التي يعاني منها شعبه... وبالإضافة

ماهية التفكير الاستراتيجي وخصائصه

قبل أن نعرف من نابع سعادته الفكري وسيتخرّج منه أدلة وبراهين قاطعة تظهر ملامح تفكيره الاستراتيجي وتخصّص استراتيجيه القومية الاجتماعية، التي يحتاج إليها في هذا الزمن العصيب، لا بد لنا بداية من أن نتحدّث قليلا عن ماهية التفكير الاستراتيجي وخصائصه...

أولا: إن نمط التفكير الذي بات يعرف اليوم بالتفكير الاستراتيجي مرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم «الاستراتيجية»، التي كان في بداية الأمر محصورا بالفكر العسكري وما كتبه المنظرون والاستراتيجيون القدماء عن فنون الحرب وتقنياتها ومناوراتها، وعن تصرفات القادة العسكريين في وظائفهم ومهامهم، وفي تنظيمهم للمعارك وخطواتها وكيفية تطبيقها... ومع مرور الزمن توسع اهتمام منظري الفكر الاستراتيجي ليشمل إلى الشان العسكري مجالات متعدّدة أخرى لها مساس بمتطلبات النمو الاقتصادي والتطوّر الاجتماعي والتقدم العلمي والتقوّق التكنولوجي وغيرها من النشاطات.

وأسمى التفكير الاستراتيجي في عصرنا الحالي أحد العلوم الإنسانيّة المتطوّرة الذي تتوسّله الأمم المتقدّمة بمشاهدتها الصناعية ومؤسّساتها الحكومية والخاصة بشكل استباقي ممنهج من أجل تطوير البلاد على مختلف الصعد. ويعتمد هذا العلم على الابتكار والتخري والتأمّل والاستقراء والتفكير الاستباقي والاستنتاج وغيرها من المناهج.

ثانيا: التفكير الاستراتيجي ليس ترفاً فكرياً أو نوعاً من نوعاً التخصيم، بل هو نشاط إبداعي ومسار فكري تخطيطي شمولي متعدّد الرؤى والإبعاد ينطلق من دراسة الواقع بكل أبعاده ومظاهره، ويرسم رؤى وأهدافا مستقبلية ويضع برامج وخططا عملية تساعد على الانتقال إلى المستقبل المتشوّذ. فالفكر الاستراتيجي يؤدي إلى التخطيط السليم لأنّ عملية التخطيط هي عملية لاحقة للتفكير الاستراتيجي الناضج ولا يمكن أن يكون هناك تخطيط استراتيجي من دون أن يكون هناك تفكير سابق لما نريد أن نخطط. أي أنّ الفكرة هي التي تدبّ إلى صياغة الخطة وليست الخطة هي التي تولد الفكرة.

وباختصار يمكن القول أنّ التفكير الاستراتيجي هو مسار فكري تخطيطي يستبث الأحداث وينطلق من استقراء الماضي واستفرا الحاضر ليرسم معالم المستقبل. ويمكن التحدّث عن خصائص عديدة يعال بها التفكير الاستراتيجي، نذكر منها المتبع برؤية ذات أبعاد شمولية، صناعة الغايات العليا والوضحة والاشتراف إلى الاستشراف والنظرة البعيدة على اتجاه المستقبل، الواقعية، التوافقية، التراكم العمري والقدرة على التحليل والتشخيص والخطى والإبداع في البراءة الاستراتيجية والتخطيط والتأثير في مجرى الأحداث وغيرها من الخصائص.

نطرح الآن السؤال التالي: هل كان أنطون سعادة رجل الفكر المعروف بتفكيره الفلسفي والمنهجي والذي قدّم منظومة شاملة من الأفكار والآراء العميقة في شتى ميادين الفكر والفلسفة والأرب والعلم والتربية، والذي اختارته لواء الأمة لينطق بلسانها وليعبّر عن مكتوبات أفكارها وطموحاتها وإفاد رؤيته نهضتها الجديدة وليسبر بها على طريق الجهاد والبطلوة صعودا إلى الرقي والمجد... هل كان هذا الرجل، القائد صاحب تفكير استراتيجي؟ للإجابة على هذا السؤال سنقدم تفصيلا خاصص التفكير الاستراتيجي التي يعتان بها سعادة إجابتنا من فكر سعادته لترى بعض ملامح تفكيره الاستراتيجي.

أولا:الرؤيةالواضحة
الرؤية هي العجارة التي تختصر طموحات المؤسسة العالية ومطلها الأعلى. فما هي الرؤية المثالية التي انطلق منها سعادة والتي شكّلت القاعدة الذهنية والخطوة الأولى في وضع الأساس الاستراتيجي لجزبه ولمشروعه الإنشائي؟

يعتبر سعادة «أن أغراض الأمم السامية هي مطالها العليا، ومطالب سورية العليا تحضمرها بنظرته الجديدة إلى الحياة والكون السامية والتي شكّلت معالم العبيد الذي أراد تحويله إلى حقيقة، إلا وهي الوصول بأمّته إلى حياة أجود... حياة راقية تحمّد فيها حقيقتها الجميلة... وتساهم من خلاتها في النهل للخير الإنساني العام وفي تقدّم المجتمع الإنساني وإقادة من معضلاته الاجتماعية، الاقتصادية ومن أقاته، الحروب المدمرة... هذه الرؤية المثالية الوجودية هي رؤية مشبعة بحبّ الحياة وبالرغبة الشديدة في تحسينها وممثلة رؤية المحبة الصادقة التي إذا وجدت في نفوس شعب يكامله أوجدت في وسطه تعاوناً خالصاً وتعاطفاً جميلاً يملأ الحياة أملاً ونشاطاً.

ثانيا:التفكيرالغائبي الواضح

كل أعمال سعادة وكل كتاباته كانت من أجل غاية مجتمعية واضحة، عالية الأهمية وتتضمّن أربع مهمات أساسية وهي أولا: أحداث نشأة قومية اجتماعية في أمته سورية لإعادة حيويتها وقوتها. ثانيا: تنظيم حركة تؤدي إلى استقالتها التام وتثبيت سيادتها. ثالثا: إقامة نظام جديد يؤمّن مصالحها ويرفع مستوى حياتها، ورابعا: السعي إلى إنشاء جبهة عربية فاعلة تكون ضدّ المطامع الأجنبية ويكون لها وزن كبير في السياسة الأنترنسيونية. هذه الغاية الجلية المتعدّدة الأهداف والعظيمة من نظرة إنسانية راقية تزيد إخراج سورية من قبر التاريخ والارتقاء بها إلى «حياة أجود في عالم أجدل»، شرحها سعادة في محاضراته وفي مجمل كتاباته وخطبه وقال: «إن غرض الحزب هو توجيه حركه الأمة السورية نحو التقدم والفلاح، ووضع «أن الغرض من إقامة نظام جديد لحياتنا هو لجعل «الحياة أرقى وأفضل وأجمل، «فالحياة» ومجملها وخبرها وحسنها هي الغاية الأخيرة» التي تسعى إليها، وللتأكيد على أهمية هذه الغاية نلّن تخضنا جميعا، والتي ترمي لترقية حياتنا القومية من أساسها ومن جميع وجوها من خلال إقامة مجتمع قومي صحيح، ينهض على أساس منافي نبنى عليه كل مشائنا ومؤسّساتنا ومشاريحنا وننطلق منه في كل أعمالنا وسياساتنا وخططنا. للتأكيد على أهمية هذه الغاية شدّد سعادة على القوميين الاجتماعيين في تحذير تاريخي نجد في المحاضرة الأولى من المحاضرات المشرّح حيث يقول:

«كل عقيدة عظيمة تضع على أتباعها المهمة الإنسانيّة الطبيعيّة الأولى التي هي التضارح حقيقتها وتحقيق غايتها. كل ما دون ذلك باطل. وكل عقيدة يصيبها الإخفاق في هذه المهمة تزول ويتبدّد أتباعها.»

ثالثا:التفكيرالاستشرافي
باكراً استشرّف سعادة بعبقريته ويعد نظره أنّ أخطاراً عظيمة داهمة، وأهمها خطر الصهيونيّة، تهدد وجود الأمة وقال: «نحن أمة واقفة، الآن، بين الموت والحياة، ومصيرها متعلق بالخطة التي نرسمها لتفكسا والاتجاه الذي نعبئه»، ودعا إلى التضامن الضروري واتخاذ الإجراءات الفخفاقي التي لنمكن من الدفاع عن حقوقنا كامة حية.

بالإضافة إلى الخطر الصهيوني فقد نبّه سعادة في بدايات القرن السابق من أخطار عديدة من بينها الخطر التركي الزحف إليها من الشمال، وخطر التوسّع العربي المستند إلى العصبية الوهاابية، وخطر تنافس قوى الاستعمار على سورية الغنيبة بالموارد، وخطر الحرب الجديدة التي سيكون وطننا مسرحا فيها وسارحها يقدم

لها ضحايا وقرباين وأخطار داخلية عديدة كالتجزئة الكيانية والاجتماعية وكأمراض الطائفية والعنصرية والأنتائيات الفردية والتيارات الإنعزالية والإنفلاشية والمصالح الفئوية والخصوصية وغيرها. ودعا سعادة إلى مواجهة هذه الأخطار بالوعي القومي وبالقوة العملية المنطلقة... فإنّ لم نفعّل شيئا في سبيل حربتنا... ونقولها غير آبهة بمخالفاتنا ومطامحها. ودولة العدو تتنادى في اغتصابها للأرض وتغيير معالمها الحضارية وتهويدها وتتباهي في جرائمها وأعمالها الإرهابية ومراسمها العدوانية والعنصرية ولا تكف عن سياسة القتل والتدمير وبمها المزالل والاعتداء على المقدسات ومصابرة الرّاضي وبناء المستوطنات.. وسورية اليوم تدفع الثمن حروبا عظيمة ترتكب فيها المجازر الظفيعية وتزْهق الأرواح وتدمّر البلاد وتعمّ الأوبائ وتكلّ ظواهر التخلف وتفككا مما كانت عليه في بدايات القرن الماضي، والسبب هو عدم التجاوب الكافي مع دعوات سعادته وتحذيراته.

سعادة كان صاحب نظرة واقعية مشدودة إلى المستقبل تعتبر أنّ كل جماعة تريد الارتقاء «لا بد لأفرادها من فهم الواقع الاجتماعي وظروفه وطبيعته والعلاقات الناتجة عنه». لذلك نظر سعادة في واقع مجتمعه دارسا ومعلّلا بموضوعية وعلمية تركيبته ومشكلاته وعلاقاته الداخلية والخارجية وحالاته الصحية والمرضية ومستنبطا أسباب الويل والمآسي والأمراض وكلّ ظواهر التخلف والمتربط والضعف والتبعية والانتحاط التي يعاني منها شعبه... وبالإضافة

ترك سعادة للأمة تراثا فكرياً ضخماً يجذب الأجيال والدارسين والباحثين الأكاديميين ويقدم طريقة جديدة راقية في التفكير الإبداعي المركز على الاستقلال الروحي

إلى معرفة الواقع الاجتماعي وحائقه وظواهره، غاص سعادة في تاريخ الأمة السياسي والاجتماعي والثقافي الطويل وراح يسبقرئ ما يتضمّن هذا التاريخ الغني من إنجازات وبطولات واثر صراعي عظيم ومن مظاهر ثقافية وعمرانية. ومأثر إبداعية تظهر نفوّد النفسية السورية الأصلية وعظمتها، ونتيجة للتفكير الاستراتيجي سوري المجيد ولحقائق وأقها الاجتماعي والسياسي الذي غاب عن الوجدان القومي لخوفه من المنطقات القومية والسياسية قرّر سعادة القيام بمشروع إنقادي تخطيطي استراتيجي ينهض بأامة ويغيّر مجرى التفكير، فأفكس الحزب السوري القومي الاجتماعي كمشروع نهوضي وفكرة وحركة تتناول حياة الأمة بأسرها.

خاصا:تفكيركلى متعلم

إنّ فكر سعادة الاستراتيجي كجزبه السوري القومي الاجتماعي يتمحوران حول قضية قومية كلية هي قضية الأمة السورية والوطن السوري. ففي شرحه في المحاضرة الثالثة يحدّد سعادة قضية جزبه بأنها: «قضية كلية أساسية، نامقة، إنها قضية حياة المجتمع واستمرار حياته وتقدمها نحو الأفضل والأجمل». وفي المحاضرة الثالثة يقول: «فالأمر الذي نعتني به نحن ليس جزئيات بل كليات تتعلق بحياة الأمة في أساسها، جوهري لغاية واتجاه الحياة السامى والأهل والأفضل. وفي معرض شرحه لغاية الحزب يؤكّد سعادة أنّ هذه القضية، وهي معرف قضايامجتمع القومي، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية والمثالية والفنية والحياة الكبرى». «والحق يقال إنّ قوادع الفكر التي نشأت عليها النهضة القومية الاجتماعية شكّلت مجملها نظاما فكريا فلسفيا متناسقا ومتكاملا. هذا النظام الفكري لا بل هذا التفكير الذي المنظم عبّر عنه سعادة في معرض شرحه لمفهوم النظام الذي عرفّه بأنه، «اليعني الترتيبات الشكلية الاجتماعية، بل هو نظام الفكر والنهج، من نظام الأشكال التي تحقق الفكر والنهج».

سادسا:التفكيرالعملي

كان سعادة من دعاة التفكير العملي الحقيقي الذي يؤدي إلى الإصلاح الشامل في شؤون حياتنا القومية... هناك مسائل في حياتنا الاجتماعية، يقول سعادة، «يجب علينا أن نواجهها بجرأة وثقة بالنعفس... لأنّ نهرين مائتين بالناعمة التي تزحّ رأسها في الرمل، ومن أجل أن نبتدئ في العمل الإصلاحى الكبير لنقتنع حياتنا القومية وهي الطريقة التفكير الإبداعي المركز على النشال الروحي. يقول سعادة «إنّ الحق القومي لا يحقق نجاحا إلا بخلق حياة جديدة يديعنا على العمل على تحقيق ما نؤمن به ونعتقد بصلاحه»، ويشدّد سعادة مصر على وتحقيق مطالب عليا.

سابعا:تفكيرإبداعي مستقل

وفي الحديث عن سعادته فلا نعتقد أنّ رجلا يخالقني الراي بأنّ سعادته كان شخصا مبدعا ومتوقّفاً لا على جدل عبقريا وثاقدا ذاق، وقد تجلّت مظاهر العقبريّة والإبداع في فكره الثاقب وفي مؤهلاته التأسيسية والتنظيمية والقيادية الفريدة وفي زعامته الأصلية المنبثقة من مصيم غلطة الأمة السوريّة، ومن نتاج نفسيّتها الجميلة... وتجلّت عقبريته أيضاً في كتاباته وفي إنتاجه الغزير وفي بروزه كموسوعة جليلة في الفكر والثقافة وعلى الإبداع وفي لغات العالم الحضاري. لقد ترك سعادة للأمة تراثا فكريا ضخما، تراثا يجذب الأجيال والدارسين والباحثين الأكاديميين، ويقدم طريقة جديدة راقية في التفكير الال وهي طريقة التفكير الإبداعي المركز على النشال الروحي. يقول سعادة «إنّ الحزب السوري القومي الاجتماعي نشأ بتفكير الإبداع السوري المستقل... ويؤكد بأنّ هذا التفكير الذي شكّل انقلابا فكريا عظيما وسط شعبنا يعكس نفسيّتنا السورية الأصلية التي تتمتع بكل مؤهلات قوى الصحيح والإراء الشامل لنشؤون الحياة والكون والفن، والتي «تقدر في ذاتها على المعرفة» و«تمييز القصد وتصور أسنى صور الجمال في الحياة». وعلى أساس هذا التفكير الإبداعي المستقل دعا سعادته أبناء شعبه إلى أشادة تمدّن جديد أفضل من التمدّن القديم الذي وضع قواعده أجداننا الأولون وقال: «يجب على ثامنا: تفكير نقائلي إنساني

سعادة كان صاحب تفكير نقائلي وإنساني يؤمن بفدرات الإنسان وطاقاته الفعّلية على اختراق كل الميادين واكتشاف الحقائق ويبحث أبناء شعبه للتحزّر من أوهام الضعف والخضوع والتسليم للامر المفعول ويتحمّل مسؤولياتهم في تحرير سورية بأكملها وفي صناعة المستقبل المشرق، لنّ فهم «قوة لو فعلت لغفرت وجه التاريخ». وركّز سعادة على عنصر الشباب وعلى إطلاق عناصر القوة القومية وتشجيع المواهب الفكرية والاهتمام الدقيق بنتائج العمل على تصويبها. كما دعا أبناء أمته إلى الاعتزاز بقوميتهم واعتناق رسالة الإيمان بأامة سورية وحبّ الوطن السوري والعمل بإخلاص من أجلها. وحرص سعادة على بناء الإنسان الجديد المسؤول والمتسلح بالمعرفة والفضالة والمنافس لحمل رسالة النهضة وبناء المجتمع الجديد لنّ المنافس، بالنسبة إليه، هي شيء أساسي جدا في الحياة فإذا لم نتمتع بأخلاقية منبثة فيها صلابة العزيمة والتسلح بالمعرفة والفضالة والمنافس لحمل رسالة النهضة ونشد الإيمان وقوة الإرادة فلا يمكننا أن نحقق غاياتنا النبيلة ولن نخضع إلا للتشويش والإخفاق في كل شؤون الأمل، من هنا نقوله «إنّ الأخلاق هي في صميم كل نظام يمكن أن يكتب له أن يبقى».

وسعادة كان متفاناً بالنتاج ودعا القوميين الاجتماعيين إلى أن يتقوا بأنفسهم بقيضيتهم وقال: «إننا لو شئنا أن نفرّ من النجاح ما وجدنا لنا مفرّا منه». لقد منى سعادة في حق معلّمنا وعبد طريق الإيمان والثقة والحزم وصديق العزيمة بأعماله جان حريصا على بعث الأمل واليقين والفضائل القومية في النفوس، فضائل الحب والوفاء والتضحية والبطلوة والاستقامة والصنق والصراحة والإخلاص وكلها فضائل وقيم تعزز وحدة المجتمع وتساهم في رفّ الإنسان وسعادته. وكان شديد الإيمان بأتمته المعلمة والهادية للأمل فأخر بما اعتلته هذه الأمة للعالم من شرائع وعلوم ورسالات ومعارف ومن عظماء خالدين وفلاسفة ومفكرين وقادة ومحاربين وقال «إنّ النفس السوريّة كل

أنطون سعادة* الواقع والاستشراف والإرادة والتفكير الاستراتيجي الواضح

علم وكل فلسفة وكل فنّ في العالم...».

تاسعا: تفكير إرادي صراعي

من أهمّ عناصر الإستراتيجية في الفكر القومي الاجتماعي هو عنصر الصراع لأنّ الحياة صراع ومن أبى الصراع رفضته الحرية. فحركة سعادة هي ليست حركة تشبيرية بل حركة جموية لا تهدأ، حركة صراع ليس بمنته وقثال يأمّن من أجل تحقيق غاية واضحة وعقيدة تعني وجود الأمة السورية. يقول سعادة: «لو لم تكن حركة صراع لما كانا حركة على الإطلاق...» ويضيف: «نحن نصارع دائما في سبيل تحقيق غاياتنا وكلما تراكمت علينا الصعاب تجذّدت قوتنا وسقمت ما اعترضنا من صعاب»، هذا هي تربيّتنا في صفوف النهضة القومية وهذا هو إيماننا سلوكا وأفعالا وليس مجرد ترداد كلمات. ويبدأ الإيمان نحن ما نحن... نبحت عن القتال ومستعدون للصراع في كل دقيقة، يقول سعادة: «إننا نحن القوميين الاجتماعيين قد وضعنا في هذا الصراع كلّ سلامتنا... كل مصالحتنا، كل شيء عندنا في الحياة، لأننا لا نجد الحياة خليفة بأن نجانها إلا إذا كانت حياة حرة وحياة عز».

ولقد احترف سعادة الذين تخلّوا عن طريق الحرّيّة والصراع واختاروا طريق العبوديّة والعبث النذل قال: «ويل للمسلمين الذين يرفضون الصراع فيرفضون الحرية ويمائون العبودية التي يستحقون».

وسعادة رض الكالتية والقدريّة والتخاذل والاستسلام وقال باتجاه جديد في التفكير يعتمد على موهبة العقل البديع والشرع الأعلى والأساسيّ، العقل الإرادي الفاعل في الوجود الذي يتأمّل ويُدرك ويعيّن الخير عن الشر ويخطط للمستقبل ويعيّن الأهداف ولا يرضى عن الصراع في سبيل الحياة الحرة الكريمة بدلا. هذا التفكير الجديد لا يعكس اتجاهنا ظرا بل يفكيرا علميا، أخلاقيا، ساعيا إلى تغيير الواقع وتحسين وجود أفضل، يعكس نفسية صراعية جديدة محبّة للعمل والإنتاج وتواقّة إلى الحرية ولا تقبل بغير العزّ والانصراف لموقعا على في الحياة. والحق نقول إنّ هذه النسبية الصراعية الواضحة من نفسها والمعتمدة على ذاتها لتحقيق أهدافها... تؤسّس لها وتغذيها المبادئ القومية الاجتماعية التي تشكّل قرآ جديدا لا بل خطة إجتماعية لصورة الأمة في المستقبل. لذلك يقول سعادة: «إنّ العنقبة الأخلاقية الجديدة التي تؤسّسها لحياتنا مبادئنا هي أمّن ما يفعله الحزب السوري القومي الاجتماعي للأمة، لمقاصدها ولأعمالها واتجاهها».

الاستراتيجية القومية الاجتماعية

الهدف الاستراتيجي الذي وضعه سعادة بتلخص بغاية جزبه الواضحة كما ذكرنا أعلاه. ولتحقيق هذه الغاية وضع سعادة خطته الاستراتيجية الواضحة وراح يعمل على تنفيذها بعزم وتصميم وإيمان وإرادة جبارة لا تلين ويجهد إداري وتنظيمي وسياسي وبمواجهة شرسة عن الخصوم السياسيين والطايفيين وقوى الرجعية المتلصّبة بلباس الوطنيّة ومع التفعيين المناقذين والخونة والمخرفين وأعداء الأمة الاستراتيجيين... راح يعمل على تنفيذها إنشاء وتقدّما وشرحا وإرشادا وتدريقا وتنظيميا وتسويليا، وعدم تهاون مع الفساد والمأسدين، وباعتماد برامج وخطط سياسية فنية بعيدة النظر ونهج هجومي واضح لا يهادن ولا يسايبر ويخرج على لا يتجاهل الأبراع التي معالجه القضايا السياسية والنهج عن ثوابت العقيدة وغايتها. هذه الخطة الاستراتيجية تقوم على العناصر التالية:

أولا: بناء المجتمع القومي الجديد المتماسك القوي باعتماده نهجاً نهضويا، أخلاقيا، واضحا يسعى من خلاله إلى تطهير المجتمع من أمراضه وتقاليدته وأقصاده الطائفية وأوهامه العنصرية وعقائده المهترئة وإظهار شخصيته القومية الحقيقية والاجتماعية وإيقاظ فكرة الأمة وبناء النفوس بناء جديدا في العقيدة الصالحة والمنافب الجديدة التي تضمن توحيد الشعوب والوئاد والولاء القومي وتؤسّس حياة جديدة لحياتنا، وتسير بها إلى الرقي العز والخير والتقدّم والفلاح. هذا النهج الإصلاحي الحقيقي الذي يعتمد الوعي القومي ونشر الثقافة القومية الاجتماعية يرمي إلى إصلاح العلة في أهلها وتوحيد اتجاه الأمة توحيدا ذاتيا راسخا باصطاح على المنازعات الطائفية ووضع العصبية القومية موضع العصبيات الدينية والعشائرية وتوضيح حقيقة الأمة الإثنية والجغرافية المبتدئة وإحلال صحتها القومية فوق كل المصالح الجزئية وإطلاق حيويتها وديعها في طريق الخلق والتقوّد والإبداع.

ثانيا: إنشاء المؤسسات القومية الصالحة لتجديد حياة الأمة ولبناء الدولة القومية الديمقراطية العصرية التي ترعى مصالح الشعب الحيوية وتنهض بأوضاعه وتوفّر له رغد العيش وهناء الحياة. والمؤسّسات القومية الجديدة التي أعظم أعمال سعادة بعد تأسيس القضية القومية التي تحفظ وحدة الاتحاد ووحدة العمل هي، أولا، مؤسّسات متنوعة (من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفنية وغيرها...) تفعل إدارة وسياسة واقتصادا وحرّيا لتحقيق أهداف الحزب. وثانيا، هي مؤسّسات متكاملة وموحّدة في مسؤولياتها تجاه قضيتها ومشدودة دوما إلى غاية الحزب ونظرة. وثالثا، هي مؤسّسات عصرية متطورة تعتمد العقلنة والعلم والتخطيط الدقيق ويجب أن تستنيرها إدارات صالحة وكفوءة ومخلصّة وشفافة، متحلّية بالقيم القومية وعقيدة بالوضايط الأخلاقية والقواعد السورتية وملمّزة بالمعقيدة وغايتها.

ثالثا: بناء نظام اقتصادي اجتماعي راق قاعدته وحدة المجتمع القومي وغايتها خير الأجيال ورفاهيتها. نظام يرسي الاقتصاد القومي على أساس العمل والإنتاج والتسوّل على كماله. أي أنّ الأمم العاملين المبدعين المنحجنين علما وفكرا وواعية وعملّا، بهذا النظام الجديد التي يعتمد الخطة التطويرية والعدالة الاجتماعية في عمليّة الإنتاج ستقف الأمة على قدميها ويستحقّ مجتمعنا بأكمله إلى مجتمع منتج متقوّق ومحصّن من الاتحاي والتبعية ويستعكّل الرامية للانطلاق وقواعد التقدم والتطور وقدرة الصراع بين الأمم.

رابعا: بناء الأمة العمانية والنفسية بما فيها قوة الفكر والعلم والمعرفة لأنّ ما يحصي الأمة ومصالحها ضدّ أيّا مخاطر هو عناصر قوتها وحسن استخدام قياداتها زهدها بالعناصر. وفي هذا المجال يقول سعادة: «إنّ الحق القومي لا يكون حقّا في معترك الأمم إلا بمقدار ما يدعنه من قوّة الأامة. فالقوة هي القول الفصل في أتمام الحق القومي أو إنكاره». ومن أهمّ مظاهر القوّة المادية هي القوّة العسكرية والقوّة الاقتصادية والتمنعة الجغرافية الاستراتيجية والسياسية البشري الفاعل الذي هو في النهاية صاحب الدور الأساسي في قوّة الأمة وثقوّتها.

وفي مجال القوّة العسكرية دعا سعادته إلى إعداد جيش قوي للدفاع عن الأمة والوطن وقال إنّ «مبدأ الأمة المسلحة هو العبد الوحيد الذي يجب أن تتمسّك به كل أمة لتتصلح».

وفي مجال القوّة الاقتصادية، دعا سعادته إلى استخدام موارد الأمة ومن بينها البترول كسلاح استراتيجي في معركة المصير القومي وفي الحفاظ على حقوق الأمة ورفاهيتها. نظام يرسي الاقتصاد القومي يبقى أن تشير إلى أنّ سلطة الديمقراطية ستلازم الدول القومية الاجتماعية المنبثقة من إرادة المجتمع الشاعر بوجوده وكيانه لأنه لا قومية حقيقية بدون الديمقراطية. لذلك يقول سعادة: «الدولة الديمقراطية هي دولة قومية حتما». وهذه الديمقراطية، التي عاها سعادة، هي ليست ديمقراطية تمثيلية تعكس أوضاع المجتمع الراثة وتتمثّل فئاته الإطباعية والأرسالية والمذهبية بل هي ديمقراطية تعبيريّة، أي أنّها طريقة جديدة في التفكير، أو كما يسمّيها سعادة بضاعة جديدة يقدمها لأمة السورية والليبرية جمعاء، وظيفتها التعبير عن إرادة الأمة المجتمعة في وحدة حياة ووحدة مصير وغرضها الإيجاد الجديد والتأسيس للدولة الأمة ومطلباها وللنهوض بها إلى المكان اللائق بها تحت الشمس.

خاصة: هذه هي خطة سعادة الاستراتيجية التي حددت الغاية الواضحة والتي رسمت الطريق لتحقيق تلك الغاية... هذه هي خطة سعادة النظامية الدقيقة التي يفعل فيها العقل الإرادي والتي تبدأ من تغيير الإنسان لتحوّل الأفراد إلى نفوس مؤمنة ذات جيش من العشاق لفضية حياة أفضل، والحق نقول إنه لا أمل لنا بمواجهة المشروع الصهيوني العدوانى وتوابعه التنظيمية من أهل الوهاابية والسلفية والداعشية والتخلف والتفكير، ولا رجاء لنا ببناء مجتمعنا وقيامنا بالإيعاتام الخطة النظامية الاستراتيجية التي رسمها سعادة والتي تصنع الإنسان الجديد المحيّنّ بالمنافب الجديدة والمستعدّ لن يتحمّل مسؤولياته في البذل والعطاء والبطلوة والاستشهاد من أجل صيانة حياة الأمة الجديدة في العز والشرف والحرية والتقدّم والفلاح.

* محاضرة ألقاها عضو المجلس القومي د. ادمون ملح في ندوة دعت إليها منظمة ملبورن في الحزب السوري القومي الاجتماعي.